الفصل الرابع

العـــدل

- الأمانة .
- التواضع .
- الرحمة .
- الصداقة .
- صلة الرحم .
- الحرية .

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الرابع

العـــدل

● **تعريف العـدل :**

فى لسان العرب : العدل : ما قام فى النفوس أنه مستقيم ، وهو ضد الجور • عـدل الحاكم فى الحكم يعدل عدلا . وهو عادل من قوم عـدول ••

وفى أسماء الله الحسنى « العدل » وهو الذى لا يميل به الهوى فيجور فى الحكم • والعدل : الحكم بالحق •

وجاء الامام الشاطبى فذكر فى « الموافقات » : أن العـدل بين الناس هو الغاية المقصودة من الشريعة الاسلامية •• وقال مفصلا رأيه فى موضوع آخر ، ان هدف الشريعة هو حفظ خمس مصالح أساسـية وهى : الدين والنفس والعقل والنسل والمـال ، وهى مصالح يعـد حفظها فى النهاية تحقيقا لتوازن المجتمع وضـبط ايقاعه ، وهو عين العدل والقسـط •

وقال الامام ابن القيم الجوزية فى « اعلام الموقعين » : ان الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط ، وهو العدل الذى قامت به السموات والأرض ، فاذا ظهرت أمارات الحق ، وقامت أدلة العدل ، وأسفر وجهه بأى كان ، فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره •

وأهمية كلام ابن القيم تكمن فى أنه يوسـع الدائرة الى حـد كبير ، بحيث انه يعتبر أى طريق يؤدى الى تحقيق العدل ، بمثابة طريق يؤدى الى الله • بل يعتبره داخلا بشكل تلقائى ضمن شرع الله ودينه •

وكتب عبد الملك الى سعيد بن جبير يسـأله عن العدل فأجابه :

ان العدل على أربع أنحاء : العدل فى الحكم ، قال الله تعالى : ﴿ **وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط** ﴾ . والعدل فى القول قال تعالى : ﴿ **واذا قلتم فاعدلوا** ﴾ والعدل فى الفدية قال تعالى : ﴿ **لا يقبل منها عدل** ﴾ والعدل فى الاشراك . قال تعالى : **ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** ، أى يشركون . وفلان يعدل فلانا : أى يساويه ، وعدل الموازين والمكاييل : ساواها ، وتعديل الشىء : تقويمه ، والاعتدال : توسط حال بين حالين فى كم وكيف ، كقولهم جسم معتدل من الطول والقصر ، وجو معتدل من الحر والبرد .. الخ ، والمعادلة : الشك فى أمرين ، يقال : أنا فى عدال فى هذا الأمر أى فى شك منه أأمضى عليه أم أتركه .

فالعدل ضرورة انسانية ويقود الى الفضائل الأخلاقية لأنه أساس رئيسى فى انتظام العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ... الخ وهو قرين العمل الصالح والبر والاحسان ، بينما نقيضه وهو الظلم سبيل الى الفواحش ومنكر الأعمال التى أمر ربنا سبحانه بتجنبها . وقول الله تعالى بين فى ذلك : « **ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون** »(١) .

ان الأمر بالعدل عام يشمل كل الناس ، ولا استثناء فيه ، والسبب فى ذلك أن العدل يحفظ النظام والفضيلة فى المجتمع ، ويمنع الفوضى والتجاوزات المؤدية الى الهلاك . ففى العدل قوام أمر المجتمع ، ومنطلق لتقدمه ، وتحرره ، وتعاون أبنائه ، وفى الظلم ، وهيمنة فريق على سواه سبيل للتنازع ، والتغالب بلغة الغاب ، مما يجلب التخلف والضعف فى مواجهة قوى الشر والفساد من أية جهة أتت .

ونحن من جهتنا اذا ما نظرنا الى استعمال « كلمة العدل » من لغتنا العربية وجدناها عند الاطلاق ، انما يراد بها العدل السياسى أى

---

(١) النحل : ٩٠

معاملة كل فرد من أفراد المجتمع بما يستحق ان خيرا وان شرا تبعا لاحكام الشرع الحكيم لمعنى عادل : رجل يؤدى حق الغير من نفسه كلما لزمه • أو ينصف المظلوم من ظالمه ان كان حاكما ، والظالم من يفعل عكس ذلك • وليس يقال على المغتاب والفاسق الذى قد يصل الى لذاته بغير عنف والسارق والنمام سوى نمام أو مغتاب أو فاسق أو سارق ولا يقال : ظالم الا بتجوز . لأنه تعدى الحدود كما تعداها الظالم فى ظلمه وطرقه المتعددة •

عبادات ومعاملات ، فانه بالمعنى المتعارف انما يختص بالمعاملات بين افراد المجتمع الانسانى •

وان تتبع التاريخ ليرينا أنه من أقدم ما عرف فى المجتمع الانسانى فى الفضائل ، بل لا يكاد يوجد شعب أو قبيل ــ مهما بلغ توحشه ــ يمكن أن يقال انه تجرد من احترام العدل واستخدامه لخير الجماعة . فالشعوب التى عرفت المدنية قديما كالمصريين والهنود والصينيين كان العدل يشغل من تاريخها مكانا عظيما فى الأهمية •

وحسبنا النظر الى الشعب الاغريقى واهتمام فلاسفتهم بأمره وما أعجب ما جاء عنه فى جمهورية « أفلاطون » وكتاب الاخلاق « لأرسطو » ان العدل لهو الباعث الوحيد على ما يشاهد من الجهود الجبارة فى كل مكان وزمان لنصرة الحق ورفع لواء المدنية ، وما العروش والامارات ومجالس الشورى فى أرقى الأمم قديما وحديثا الا وليدة فضيلة العدل ونتيجتها[1] •

والعدل هو أحد الفروع الخلقية لحب الحق وايثاره ، وأحكام العدل وتطبيقاته انما هى تنفيذ لما يقتضيه الحق •

وعلى هذا نستطيع أن نقول ان العدل هو اعطاء كل ذى حق ما يعادل حقه ويساويه دون زيادة ولا نقصان •

---

(١) انظر : الاخلاق فى الاسلام ــ اسعد السحمرانى • ص ١١٠

ومن أجل ذلك كان الميزان رمزا لاقامة العدل .

وقد لا يقتصر الميزان ــ الذى هو رمز لاقامة العدل ــ على كفتين متقابلتين لوزن الشيء لواحد ، بل ربما يكون ميزانا ذا كفتين أو أكثر من كل جهة من شطرى الدائرة الافقية . وكل كفة فى جهة مقادير الحق تقابلها كفة فى جهة التقويم بالعدل . ولا تستقيم اشارة العدل ما لم تعادل كل كفة شقيقتها المقابلة لها فى الميزان .

ومن عجيب أمر ميزان العدل أن للحق فيه موجبا وسالبا ، أما موجب الحق فهو ثقل يرجح الكفة التى يوضع فيها ، ولا يتحقق العدل الا بوضع ثقل معادل له فى الكفة المقابلة لها .

وأما سالب الحق فهو قوة تطيش بالكفة الى جهة العلو جاذبة لها . وبذلك تنخفض الكفة المقابلة لها . ولا يتحقق العدل فى هذه الحالة الا بوضع قوة فى الكفة المقابلة من شأنها أن تجذبها الى ارتفاع حتى تتعادل الكفتان . وتستقيم فى الميزان اشارة العدل .

فهو ميزان يزن الموجب والسالب ، أى : يزن الواجب والحرام . يزن ما هو حق ويزن ما ليس بحق . وتعمل فيه الحركتان الموجبة والسالبة .

ولما كان العدل مرتبطا بالحق كان لابد لنا من ملاحظة أن حقوقا متعددة الجهات قد تتوارد على شيء واحد ، وأن لكل جهة منها مقدارا من الحق ذا نسبة خاصة من المجموع الكلى .

ان ميزان العدل يزن قيم الأشياء وقيم الأعمال بالاستناد الى قواعد الحق ، فمتى تساوت كفتا الميزان استقامت اشارة العدل ، والذى يريد أن يسوى بين الأمور رغم اختلاف قيمتها الذاتية ، مثله كمثل من يسوى فى القيمة بين الذهب والحجر ، على أساس تكافئها فى الثقل المادى : فيضع ذهبا باحدى كفتى الميزان ويضع فى الكفة الأخرى مثل ثقله حجرا عاديا .

ـ إن العدل عمل شديد الدقة ، يحتاج الى بصر نافـذ ، ومهارة فائقة وخبرة بالأشياء وبالأعمال . ومعرفة بقيمها الذاتية والا اختل ميزان العدل وجار ، وجنح صاحبه الى ظلم كبير شـنيع[1] .

يقول الله عز وجل في سورة آل عمران : ﴿ **شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم (٢)**.

يعلق شيخ الاسلام على قوله تعالى : « قائما بالقسط » بقوله : « فان الاسـتقامة والاعتدال متلازمان ، فمن كان قوله وعمله بالقسط كان مستقيما . ومن كان قوله وعمله مستقيما كان قائما بالقسط ، ولهذا أمرنا الله عز وجل أن نسـأله أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وصراطهم هو العدل والميزان ليقوم الناس بالقسط والصراط المسـتقيم هو العمـل بطاعته وترك معاصيه فالمعاصي كلها مناقضة للعدل مخالفة للقيام بالقسط والعـدل »[2] .

ويعلق سيد قطب رحمه الله على هذه الآية في ظلال القرآن بقوله : « وتدبير الله عز وجل لهذا الكون والحياة متلبس دائما بالقسط وهـو العدل ، فلا يتحقق العدل المطلق في حياة الناس ولا تسـتقيم أمورهم استقامة أمور الكون التي يؤدي كل كائن معها دوره في تناسق مطلق مع دور كل كائن آخر .. لا يتحقق هـذا الا بتحكيم منهج الله الذي اختاره لحياة الناس وبينه في كتـابه والا فلا عدل ولا قسط ولا استقامة ولا تناسـق ولا تلاؤم بين دورة الكون ودورة الانسان ، وهو الظلم اذن والتصـادم والتشتت والصراع » .

وانه حيث حكم في حياة الناس منهج آخر من وضع البشر لازمه

---

(١) انظر : الأخلاق الاسلامية وأسسها ـ عبد الرحمن حسن حنبكه الميداني ، ج ١ ص ٦٢٢ وما بعدها (بتصرف) .
(٢) آل عمران : ١٨
(٣) انظر : مجموع الفتاوى ـ ابن تيمية : ١/٥٥ ، ١٤/١٧٩

جهل البشر وقصور البشر ، كما لازمه الظلم و لتناقض فى صورة من الصور • ظلم الفرد للجماعة . أو ظلم الجماعة للفرد ، أو ظلم طبقة لطبقة أو ظلم أمة لأمة أو ظلم جيل لجيل . وعدل الله عز وجل وحده هو المبرأ من الميل لأى من هؤلاء ، وهو اله جميع العباد ، وهو الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء « لا اله الا هو العزيز الحكيم »[1] .

وقوله تعالى : « **واذا قلتم فاعدلوا** »(٢) .

يعلق سيد قطب رحمه الله على هذه الآية فيقول : « وهنا يرتفع الاسلام بالضمير البشرى ــ وقد ربطه بالله ابتداء ــ الى مستوى سامق رفيع على هدى من العقيدة فى الله ومراقبته •• فهنا مزلة من مزلات الضعف البشرى . الضعف الذى يجعل شعور الفرد بالقرابة هو شعور التناصر والتكافل والامتداد . بما أنه ضعيف ناقص محدود الأجل وفى قوة القرابة سند لضعفه وفى سعه رفعتها كمال لوجوده . وأن امتدادها جيلا بعد جيل حماية لامتداده . ومن ثم يجعله ضعيفا تجاه قرابته حين يقف موقف الشهادة لهم أو عليهم أو القضاء بينهم وبين الناس ، وهنا فى هذه المزلة يأخذ الاسلام بيد الضمير البشرى ليقول كلمة الحق والعدل على هدى من الاعتصام بالله وحده ومراقبة الله وحده اكتفاء به مناجزة ذوى القربى وتقوى له من الوفاء بحق القرابة دون حقه وهو سبحانه أقرب الى المرء من حبل الوريد »[3] .

أما الأحاديث الواردة فى الحث على العدل وتجنب الظلم والبغى فكثيرة :

ــ روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين اثنين صدقة »[4] .

---

(١) انظر : فى ظلال القرآن ــ سيد قطب : جـ ١ ، ص ٥٥
(٢) الأنعام : ١٥٢
(٣) انظر : فى ظلال القرآن ــ سيد قطب : جـ ٨ ص ٤٢٦
(٤) فتح البارى جـ ٥ ، رقم الحديث (٢٧٠٧) ط. السلفية .

ـ وروى الامام مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن ـ وكلتا يديه يمين ـ الذين يعدلون فى حكمهم وأهلهم وما ولوا »[1] .

والعدل وسط بين الظلم والانظلام (الانظلام احتمال الظلم) أما الظلم فهو التوصل الى كثرة المقتنيات من حيث لا ينبغى وكما لا ينبغى ، واما الانظلام فهو الاستحذاء والاستماتة فى المقتنيات لمن لا ينبغى وكما لا ينبغى (الاستحذاء الاعطاء والاستماتة ، الخضوع والتواضع) .

ولذلك يكون للجائر أموال كثيرة لأنه يتوصل اليها من حيث لا يجب ووجوه التوصل اليها كثيرة لا تخفى على أولى البصائر والأبصار بعكس المنظلم فان مقتنياته وأمواله يسيرة جدا لأنه يهملها حيث لا يجوز الاهمال ويتركها من حيث لا يجب ، وأما العادل فهو فى الوسط لأنه يقتنى الأموال من حيث يجب ويتركها من حيث لا يجب .

فالعدالة فضيلة يتصف بها الانسان من نفسه ومن غيره من غير أن يعطى نفسه من النافع أكثر وغيره أقل ، وأما فى الضار فبالعكس وهو أن لا يعطى نفسه أقل وغيره أكثر ، وانما يستعمل المساواة التى هى تناسب بين الأشياء ومن هذا المعنى اشتق اسم العدل ، وأما الجائر فانه يطلب لنفسه الزيادة من المنافع ولغيره النقصان منها ، وأما فى الأشياء الضرة فانه يطلب لنفسه النقصان ولغيره الزيادة منها وما بقى تحت العدالة يمكن للفطن استخراجه بنفس الطريقة التى استخرجنا منها الأوساط التى أرشدنا اليها[2] .

---

(١) صحيح مسلم رقم الحديث (٢٨٢٧) باب فضيلة الامام العادل .

(٢) انظر : النفس أمراضها وعلاجها فى الشريعة الاسلامية ـ محمد الفقى ، ص ١٣٣

والعدل سمة بارزة من سمات الرجولة فى الاسلام والرجل المسلم لكى يكون رجلا لابد أن يكون العدل خلقا متأصلا فى أخلاقه لأن الرجل العادل يعطى كل ذى حق حقه ويكون السبيل الى محبة الناس له .. والعدل يعتبر من أمهات الفضائل والتى تدعو الى الصداقة والألفة وصلة الرحم والتودد والعبادة وترك الحقد ومكافأة الشر بالخير واستعمال اللطف وركوب المروءة فى كل الأحوال .

اللهم اجعل العدل خلقا متأصلا فينا وباعد بيننا وبين الظلم والظالمين ..

* * *

obeikan.com

المبحث الأول

الأمـانة

الأمانة بمعناها الأخلاقي شعور بالتبعة . واحتكام الى الضمير اليقظ . ونهوض بالرعاية لكل ما فى عهدة الانسان من شيء حسى أو معنوى .

ولقد تحدث القرآن الكريم عن فضيلة « الأمانة » فى أكثر من موطن ؛ منوها بشأنها ؛ حاثا على رعايتها وصيانتها ، ومن الآيات المجيدة التى جاء فيها ذكر الأمانة قول الله تعالى فى سورة الأحزاب : **﴿ انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا ﴾(١) .**

ولقد ذكر الأصفهانى فى كتابه المفردات أن معنى الأمانة هنا فيه أقوال ولكن الأقرب الى القبول فى معنى الأمانة هو أنه يراد بها التكاليف والحقوق المرعية التى أودعها الله المكلفين ، وائتمنهم عليها ، وأوجبها عليهم ، من غير اخلال بشيء من حقوقها .

ولكن الانسان الذى أوتى العقل والتفكير تعرض لحمل هذه الأمانة والنهوض بها . وهو بهذا التعرض كان ظالما لنفسه ، وكان جاهلا بكثير من تبعات هذه الأمانة ؛ ولذلك أوقع نفسه فى مسئوليات وتبعات تحتاج الى موصول العمل ؛ حتى لا يتعرض للعقاب والعذاب .

وعرض الأمانة هنا هو على أساس أن من يقبل هذه الأمانة ، ويحفظها ويقوم بحقوقها ؛ فله الفوز والثواب والنعيم ، ومن يضيعها أو يهمل حقوقها فله الخسران والعقاب والجحيم ؛ ولذلك قال الله تعالى عقب هذه الآية مباشرة : . **ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفورا رحيما ﴾(٢) .**

---

(١) الأحزاب : ٧٢ (٢) الأحزاب : ٧٣

ولقد ذكر المفسرون أقوالا كثيرة في المراد بالامانة . فقيل أن الأمانة هي المحافظة على الصلوات . وأداء الزكاة . والصوم . وحج البيت من استطاع اليه سبيلا . وقيل انها أمانات الناس . أي ودائعهم التي يودعونها عند غيرهم . وقيل انها الامانة في الحديث وعدم الزيادة عليه . وقيل انها صيانة المرأة لعرضها . وقيل انها الاغتسال من الجنابة . وقيل انها صيانة الانسان لدم غيره وعدم الاعتداء عليه[1] .

وعلى هذا تكون الأمانة شاملة للقيام بجميع التكاليف والالتزامات الاجتماعية والأخلاقية .

فالعقل أمانة لدى الانسان ان عمل بمقتضاه وظفه بالعلم والمعرفه كان قائما بحق الأمانة مؤديا لها خير أداء .

والجسم أمانه لديك . فان أنت غذيته وصححته ورفقت به فلم ترهقه بالأعمال ولو كانت عبادة كنت محسنا محافظا على الأمانة ؛ وفي ذلك يقول عليه السلام : « نفسك مطيتك فارفق بها » .

وزوجك وولدك ووالدك وكل من تشترك معهم في اواصر القربى ويلزمك حفظهم والنصح لهم هم أمانه عندك فان رعيت حقوقهم وبذلت لهم النصح وأسديت لهم الخير وابعدت عنهم الاذى كنت قائما بالأمانة أحسن قيام : **يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا**[2] .

وحق المجتمع عليك في اشاعة الطمأنينة والسلام والخير فيه . أمانة تلزم بالوفاء فان لم تفعل ذلك كنت مسيئا الى الناس خائنا لأماناتهم .

والعلم أمانة في نفوس العلماء . ان وطؤوا للناس سبله ، وكشفوا في الكون أسراره . واستعملوه في رفاهيه الانسانية وخيرها وسلامها . كانوا أمناء أوفياء . يستحقون ثواب الله وخلود التاريخ : **انما يخشى الله من عباده العلماء**[3] .

---

(١) انظر : موسوعة الأخلاق القرآنية ـ أحمد الشرباصي ، ج ٢ ، ص ١٥ وما بعدها (بتصرف) .

(٢) التحريم : ٦ (٣) فاطر : ٢٨

والمال فى أيدى الناس امانه . فإن أحسنوا التصرف به والقيام عليه . وأداء الحقوق الاجتماعية فيه . كانوا امناء أوفياء ، لهم الذكر الجميل فى الدنيا ، والنعيم المقيم فى الآخرة . والا كانوا خونة ظالمين ، **وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** »(١) ، « **والذين يكنزون الذهب والفضه ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم** »(٢) .

وهكذا نجد الامانه تنتظم الاستقامة فى شئون الحياة كلها ، من عقيدة وأدب ومعاملة وتكافل اجتماعى ، وسياسة حكيمة رشيدة وخلق حسن كريم .

والامانة بهذا المعنى وهذه الحدود . سر سعادة الأمم أو شقائها ويوم كانت أمتنا من أصدق الشعوب فى حمل الأمانه والوفاء بها ، كانت أمتنا خير أمة أخرجت للناس ..

سرقت امرأة عربيه متاعا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أهلها يستشفعون لدى الرسول ليسقط عنها العقوبة فغضب عليه السلام من هذه المحاولة ثم قال : « أيها الناس انما أهلك من كان قبلكم أنهم اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الوضيع أقاموا عليه الحد أما والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمه بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »(٣) .

فهذه هى أمانه الحاكم فى تنفيذ القانون على الناس جميعا ..

واستدان ولد لعمر بن الخطاب من أبى موسى الأشعرى حين كان واليا على الكوفة أموالا من خزينة الدولة ليتاجر بها ، على أن يردها بعد ذلك كاملة غير منقوصه . واتجر ولد عمر فربح . فبلغ ذلك عمر فقال له : انك حين اشتريت انقص الك البائعون فى الثمن لأنك ولد أمير المؤمنين ، ولما بعت زاد لك المشترون لأنك ولد أمير المؤمنين لا جرم

---

(١) الحديد : ٧ (٢) التوبة : ٣٤

(٣) رواه البخارى ومسلم .

ان كان للمسلمين حق فيما ربحت . فقاسمه نصف الربح واسترد منه القرض وعنفه على ما فعل . واشتد على ابى موسى فى العتب لانه أسلف ولد أمير المؤمنين من أموال الدولة ما لا يصح أن يقع مثله ، هذه هى امانة الحاكم الذى يسهر على مال الشعب فلا يحابى فيه صديقا ولا قريبا . ولقد كان صلاح الدين الايوبى رحمه الله من أكثر ملوك عصره توفية فى الفتوح والنصر . وكان نصيبه من الغنائم كبيرا جدا . أوقفه كله مدارس ومستشفيات ومساجد مما لا يزال بعض آثاره باقيا خالدا حتى اليوم ..

ولم يترك لنفسه ولاولاده شيئا . حتى قالوا انه حين مات . مات وهو من افقر الناس لم يترك درهما ولا دينارا ولا أرضا ولا عقارا . وهذه هى أمانة القائد المجاهد الذى يأبى أن يتاجر بجهاده ويرضى بالله وجنته وثوابه بديلا .

وأراد عثمان رضى الله عنه أن يقرض بعض الناس من الخزينة العامة وطلب الى خازن بيت المال أن ينفذ رغبته فى ذلك فأبى عليه الخازن . فقال له عثمان : أتأبى ذلك وأنت موظف عندنا . فجاء الى المسجد وقال للناس بصوت يسمعه كل من فى المسجد : أيها الناس لقد زعم عثمان أنى خازن له . وانما أنا خازن بيت مالكم لا بيت ماله ، وهاهى مفاتيح بيت المال أردها اليكم ، ثم رمى بالمفاتيح وخرج . وهذه هى أمانة الموظف الكريم يأبى أن يتجاوز القانون ارضاء لرئيس أو زعيم .

ووقف لشيخ عز الدين بن عبد السلام قاضى القضاة فى دمشق مرة فى وجه سلطان دمشق . وأنكر عليه تعامله مع الافرنج لقاء نجدتهم اياه فى حربه مع أخيه سلطان مصر . واعتبر الشيخ ذلك خيانة للمسلمين وجريمة فى حق البلاد . فلما عزله السلطان عن منصبه أبى أن يسكن فى بلد يخون فيها حاكموها حقوق الشعب واستغلاله وسيادته ، ولم يرض بالعودة الى دمشق مع كل ما بذل السلطان بعد ذلك من وعود واغراء وهذه هى أمانة العالم يصدع بالحق فى وجه الحاكم الظالم ، ويكشف خيانته للشعب دون أن تأخذه فى الله لومة لائم .

وتصدقت عائشة رضى الله عنها يوما بمائة ألف درهم وهى صائمة تلبس ثوبا خلقا . فقالت لها جاريتها : لو أبقيت لنا ما نفطر عليه اليوم فليس عندنا ما نأكله ! فأجابتها لو ذكرتينى لفعلت ، وهذه هى أمانة الغنى المؤمن نسى جوع نفسه ليذكر جوع غيره من أبناء الشعب .

هذه بعض أحاديث الأمانة فى مجتمع كانت الأمانة فيه خلقا بارزا يتعامل به الناس بعضهم مع بعض . ويحرص عليه الجاهل كما يحرص العالم . والفقير كما يحرص الغنى . والمواطن كما يحرص الحاكم .. خلقا أشاع الطمأنينة والثقة فيهم ، فاذا هم يتعاملون بالحب ويتجاوزون بالوفاء ، ويتعايشون بالطمأنينة ويتساندون بالحق رضى الله عنهم ورضوا عنه[1] .

فالأمانة علامة بارزة من علامات الرجولة يجب ان يتحلى بها المسلم ولكى يكون المسلم رجلا لابد أن تكون الأمانة خلقا متأصلا فى أخلاقه لأن الإنسان الذى يمتاز برجاحة العقل والتفكير والأمانة محبوب من كل الناس وموثوق به ..

والأمانة ليست مقصورة على الوديعة التى تودع عند الناس ، كالنقود والحلى وما شابه ذلك . مع أن مدلول الأمانة فى المفاهيم الاسلامية يشمل ألوانا كثيرة ، فأمانة العبد مع ربه ، وتتحقق بحفظ ما أمر الله بحفظه ، وبأداء واجباته والابتعاد عن منهياته ، وأمانة العلم تتحقق بنشره وتفهيمه للناس .

وأمانة الانسان مع الناس تتحقق برد ودائعهم اليهم ، وحفظ حقوقهم وصيانة أعراضهم ، وحفظ أسرارهم .

اللهم هبنا فضيلة الأمانة ، وجنبنا رذيلة الخيانة ، فانك الرءوف الرحيم .

* * *

(١) انظر : أخلاقنا الاجتماعية ـ مصطفى السباعى ـ دمشق : المكتب الاسلامى . ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) ، ص ١٠٢ (بتصرف) .

المبحث الثانى

التواضع

التواضع : التواضع الاسلامى مذهب نقدى فى تقويم الأشخاص والأفعال والأقوال .

اذا كانت الامانة صيانة لمال الغير وودائعه من كل نوع . والعفة صيانة لأعراضهم . فان التواضع هو الذى يصون مكانتهم الاجتماعية ويحفظ عليهم أقدارهم . وبعكس الأمانة والعفة لا يوجد فى القرآن الكريم أمر بالتواضع فى أية صيغة أخرى .

ومع هذا فإن التواضع ، كما سنرى من شهادة النصوص فضيلة اسلاميه لا ريب فيها .

فالسنة النبوية تحث على التواضع . وتدعو اليه . عن أبى هريره رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من تواضع لله رفعه »(١) وقال أيضا : « من تواضع لله رفعه . فهو فى نفسه صغير وفى أعين الناس عظيم . ومن تكبر وضعه الله فهو فى اعين الناس صغير . وفى نفسه كبير . حتى لهو أهون عليهم من كلب أو خنزير » .

والقرآن الكريم الذى لم يأمر صراحة بالتواضع توعد المتكبرين بشدة العقوبه على الرذيلة تعنى وجوب الفضيلة المقابلة لها . قال تعالى : ﴿ **واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما** ﴾(٢) وقال : ﴿ **انه لا يحب المستكبرين** ﴾(٣) وقال : ﴿ **فلبئس مثوى المتكبرين** ﴾(٤) .

والسنة النبوية هى المدخل الواضح الى فهم التواضع والكبر بالمعنى الاسلامى . فقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم هذا السؤال المنطقى : ما الكبر ؟ فأجاب بقوله : « سفه الحق ، وغمص الناس » .

---

(١) حديث حسن رواه ابو نعيم فى الحلية .
(٢) النساء : ١٧٣ (٣) النحل : ٢٣
(٤) النحل : ٢٩

وفى رواية أخرى قال : « .. ولكن الكبر من بطر الحق وغمط الناس »[1] .

وسفه الحق معناه تكذيبه وانكاره والسعى لابطاله . وغمط الناس هو بخسهم أقدارهم .

فالمتكبر لا يمكن أن يقبل الحق أو يذعن لمنطقه ، بل هو : « يأنف عن قبوله ويتشمر لجحده » .

والكبر : « يعنى جملة من الخصال الخسيسة فى طليعتها جحد الحق » والمستكبر عن الحق يبتلى بالانقياد للباطل .

والغطرسة : خلة تأبى على صاحبها أن يستمع الى قول أو يصيخ الى دعوة أو يتنزل الى متابعة انسان ترفعا عن الاصغاء قبل أن يهديه الاصغاء الى موافقته أو انكاره » .

هذه الصورة للكبر والمتكبرين ومسلكهم تجاه الحق مستلهمة من القرآن الكريم : يقول عز وجل مخاطبا بنى اسرائيل : **﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ﴾**[2] .

ويقول : **﴿ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ﴾**[3] .

ويقول عن فرعون : **﴿ واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق ﴾**[4] .

أما غمط الناس فهو حكم مجحف على أقدارهم . ان المتكبر يرى نفسه دائما أكبر بكثير مما هو عليه فى الواقع ، كأنه ينظر اليها من خلال مرآة مقعرة ، وهو يرى الآخرين أضأل بكثير مما هم فى الحقيقة ، كأنه يراهم من خلال مرآة محدبة !

---

(١) رواه مسلم والترمذى .
(٢) البقرة : ٨٧
(٣) الأعراف : ١٤٦
(٤) القصص : ٣٩

فالمتكبر يسفر عن هذه المغالطة المزدوجة في التقويم . والعلة من وراء ذلك هي رغبة المتكبر في رفع نفسه فوق الآخرين . وهذا الرفع لا يتحقق الا بالمبالغة من جانب ، والانتقاص من جانب آخر .

فالمتواضع يحرص على أن يعرف الناس معرفة نقدية موضوعية . ولذلك يجتهد للوقوف على نواحي امتيازهم . وقبل ان يقومهم يفترض أنه يجهل الكثير من مواهبهم وفضائلهم . ومن جهة أخرى هو يحذر الهوى والمبالغة عند تقويم نفسه . واذا أخطأ الآخرون في تقويمهم له دلهم على حقيقة الأمر بنفسه .

قال صلى الله عليه وسلم : « انما أنا عبد . آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد »[1] .

وقال عمر الفاروق رضي الله عنه : « كل أحد أفقه من عمر »[2] هذه طبعا خصال المتواضع في صورته المثالية . وهي لا تكاد تتحقق بتمامها الا في الأنبياء صلوات الله عليهم . وفي خاصة الصالحين والأتقياء .

ومعنى هذا بايجاز ان التواضع الاسلامي مذهب نقدي في تقويم الأشخاص والأفعال والأقوال .

والآن نستطيع التمييز بين التواضع والذلة . وبين الكبر والعزة ؛ التواضع كما رأينا تقويم موضوعي منصف للنفس والآخرين ؛ لكن الذلة : تقويم مجحف متعمد للنفس ارضاء لطرف آخر . واظهار لتفوقه . فالذلة ضد التواضع . ولا يجب أن تختلط به . ومن الخطأ الزعم بأن التواضع اضاعة . والذلة والضعة هوان وتفريط . والاسلام ينكرهما جميعا . يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من جلس الى غني فتضعضع له لدنيا تصيبه ذهب ثلثا دينه ودخل النار »[3] .

---

(١) رواه أحمد في كتاب الزهد . ص ٢٠٦
(٢) رواه أحمد في كتاب الزهد . ص ١١٤
(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير .

وللتواضع فى الاسلام مظاهر فعليـة تدل عليـه وتثبت البرء من الكبر ، وفى الوقت نفسـه تميزه من كل ما يمكن أن يختلط به من مفاهيم . هذه المظاهر الفعلية أو السلوكية بينتها السنة النبـوية قـولا وعملا • وهى بصفة عامة أعمال يدوية من تلك التى تناط عادة بالعمال الصغار أو الخدم • هذه الأعمال تشـير الى حقيقة نفسـية وأخلاقية أساسية هى : احساس المرء بالقيمة المحدودة لذاته ، وغياب الشـعور الزائف بأنه أفضل أو أحسن أو أميز من سائر البشر . فالشعور بالامتياز هو بحق الباعث النفسى على رذيلة الكبر •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من رأس التواضع : أن يبدأ بالسلام من لقيه ، ويرضى الدون من شرف المجلس ، ويكره الرياء والسـمعة »[1] •

وكانت أعمال النبى صلى الله عليه وسلم تجسد فضيلة التواضـع وكل الفضـائل الأخرى •

يقول أنس (رضى الله عنه) : « كان رسول الله صلى الله عليـه وسلم يعود المريض ، ويشيع الجنازة ، ويجيب دعوة المملوك ، ويركب الحمار • وكان يوم قريظة والنضير على حمار ، ويوم خيبر على حمـار مخطوم برسن من ليف وتحته اكاف من ليف »[2] •

وعن أبى سعيد الخدرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم : « كان يعلف البعير ، ويقم البيت ، ويخصف النعـل ، ويرقع الثوب ، ويحلب الشاة ، ويأكل مع الخادم ، ويطحن معه اذا أعيا ، وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق الى أهله ، وكان يصافح الغنى والفقير ، ويسلم مبتدئا ، ولا يحتقر ما دعى اليه ولو الى حشف من تمر »[3] •

---

(١) انظر : منتخب كنز العمال ص ٢٨٩
(٢) رواه ابن ماجـه .
(٣) الرسالة القشيرية : جـ ١ ص ٤٣١

واقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم كان صحابته رضوان الله عليهم يقومون بمثل هذه الأعمال . ويلزمون أنفسهم مثل تلك العادات . كان أبو بكر رضى الله عنه يحلب الشاة لجيرانه . وكان عمر رضى الله عنه يحمل قربة الماء . وكان عثمان رضى الله عنه ـ وهو يومئذ خليفة ـ يقيل فى المسجد ويقوم وأثر الحصباء فى جبينه . وكان على كرم الله وجهه ورضى عنه يحمل التمر فى ملحفة ويرفض أن يحمله عنه غيره ، كما كان يدهن البعير بالقطران وكان أبو الدرداء ينفخ النار تحت القدر حتى تسيل دموعه .

صفوة القول انهم رضى الله عنهم ساروا على نهج الرسول الكريم . فلم يستكبر منهم أحد أو يستنكف عن القيام بتلك الأعمال اليسيرة النافعة مهما كانت مكانة الواحد منهم[1] .

وكان عيسى عليه السلام يقول : « طوبى للمتواضعين فى الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة » .

ومن قبله موسى عليه السلام يروى لنا أن مما أوحاه الله اليه : « انما أتقبل صلاة من تواضع لعظمتى ، ولم يتعاظم على خلقى » .

لكأن التواضع أمانة غالية مودعة لدى أنبياء الله ورسله ، فهم يحرسونها ويحرصون عليها لتبقى وتدوم .

وقد يظن البعض ان التواضع معناه اهمال النظافة أو الثياب أو الأدوات ، أو اهمال العناية بمظهر الانسان وشكله ، وليس لهذا الظن نصيب من الحق ، لأن الله تبارك وتعالى قد قال : **« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد »**[2] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله جميل يحب الجمال » .

---

(١) انظر : الفضائل الخلقية فى الاسلام ـ أحمد عبد الرحمن ابراهيم . ص ٢٥٠ ـ ٢٥٥ (بتصرف) .

(٢) الأعراف : ٣١

ولقد يكون الانسان طهورا فى بدنه وثيابه ، أنيقا فى شكله ومظهره . متمتعا بطيبات حياته ، ومع ذلك يتواضع فيصدق منه التواضع.

وينبغى أن تتذكر ان التواضع يجب أن يكون بقدر ومقدار ، لأن الانسان اذا أسرف فى تواضعه فقد وضع نفسه موضع السخرية أو سوء الظن ، واذا كنا نرى من واجبنا أن نحترم الرجل العظيم مرتين ؛ مرة لعظمته . ومرة لتواضعه ، فان المسرف فى التواضع يحملنا على الاستهزاء به والاستنكار لعمله .

واذا كنا نعلم أنه ما من فضيلة الا وهى وسط بين رذيلتى الافراط والتفريط . فان التواضع كذلك وسط له طرفان مذمومان ويقول الامام الغزالى عن التواضع : اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلاق ، له طرفان وواسطة . فطرفه الذى يميل الى الزيادة يسمى تكبرا ، وطرفه الذى يميل الى النقصان يسمى تخاسا ومذلة . والوسط يسمى تواضعا . والمحمود من يتواضع فى غير مذلة .

وجعل أبو عثمان الحيرى النيسابورى التواضع أحد أربعة أمور يصلح بها القلب فقال : « صلاح القلب فى أربع خصال : فى التواضع لله ، والفقر الى الله . والخوف من الله . والرجاء فى الله » وكذلك ينال المتواضع عفو الله ورحمته ونعمته[1] .

فالتواضع علامة بارزة من علامات الرجولة فى الاسلام ، فالمسلم لكى يكون رجلا لابد أن يكون متواضعا بعيدا عن الكبر وعن المذلة ، وكيف الطريق الى اكتساب فضيلة التواضع ؟

الامام الغزالى يرسم الطريق فيذكر ما ملخصه أن الانسان يجب عليه أولا أن يتذكر بدايته : « من أى شىء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره . ثم أماته فأقبره ، ثم اذا شاء أنشره » ،

---

(١) انظر : موسوعة اخلاق القرآن ـ أحمد الشرباصى ، ص ٧٣ وما بعدها (بتصرف) .

فالانسان فى أول أمره لم يكن شيئا مذكورا ، وهو فى النهاية يصبر شيئا معدوما ؛ وأى شيء أحسن من المحو والعدم ، ولقد كان أيضا معدوما قبل ايجاده ؛ ثم من الله عليه بالطاقات والهبات ولو شاء لنزعها منه : « **ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين** » فمن كان هذا مبتدأه ، وهذا منتهاه ؛ فكيف يحوز له أن يتكبر أو يتجبر ؛

وبصدق التفكر والتدبر فى هذا يفتح الانسان فى قلبه ينبوع التواضع لله ولخلقه •

نسأل الله أن يجعلنا بالتواضع ؛ وأن يباعد بيننا وبين التكبر ، انه ولى المخلصين •

* * *

المبحث الثالث

الرحمـة

الرحمة من أخلاق الاسلام ، وهى تعنى العطف والشفقة . والحنان والرقة . والرفق والمودة . واللين والرأفة .

ووردت الرحمة فى القرآن الكريم وتناولت الحديث عن رحمة الله عز وجل . وعن رحمة النبى صلى الله عليه وسلم . وعن الرحمة بالوالدين والأرحام ، وعن الرحمة بالمؤمنين ، وغير ذلك من ألوان الرحمة المتعددة .

● **رحمـة الله تعالى :**

يقول رب العزة فى الحديث القدسى :

« انى والجن والانس فى نبأ عظيم : أخلق ويعبـد غيرى ، وأرزق ويشكر سواى !! خيرى الى العباد نازل . وشرهم الى صاعد أتحبب اليهم بنعمتى . وأنا الغنى عنهم . ويتباغضون الى بالمعاصى ، وهم الفقراء الى !!

من أقبل الى منهم تلقيته من بعيد . ومن أعرض عنى منهم ، ناديته من قريب !!

أهل ذكرى أهل مجالستى . أهل شكرى أهل زيارتى . وأهـل طاعتى أهل محبتى . وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى : ان تابوا الى ، فأنا حبيبهم ، فانى أحب التوابين المتطهرين . وان لم يتـوبوا ، فأنا طبيبهم . أبتليهم بالمصـائب . لأطهرهم من الذنوب والمعائب .

الحسنة بعشرة أمثالها أو أزيد .
والسيئة بواحدة أو أعفو ، فان استغفرونى ، غفرتها لهم .
رحمتى سبقت غضبى ، وحلمى سبق مؤاخذتى .
وعفوى سبق عقوبتى ، وأنا أرحم بعبادى من الوالدة بولدها »[1].

---

(١) الاتحافات السنية ص ١٧

أرأيت هذا الجمال الأخاذ ، وهذه الروعة الرائعة !! انها نماذج من رحمة ربنا جل فى علاه . فمن أسمائه الحسنى : الرحمن الرحيم .

● **رحمة النبى صلى الله عليه وسلم :**

قال تعالى عن رحمة النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾(١) .

ـ ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾(٢) .

ـ ﴿ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾(٣) .

وكانت رحمة النبى صلى الله عليه وسلم بالمسلمين عظيمة : عن قتادة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انى لأقوم فى الصلاة أريد أن أطول فيها . فأسمع بكاء الصبى ، فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه »(٤) .

ـ وتدفعه رحمته صلى الله عليه وسلم ، ليصلى على كبير المنافقين ، عن ابن عمر قال : لما توفى عبد الله بن أبى بن سلول جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه أباه . فأعطاه . ثم سأله أن يصلى عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله . أتصلى عليه وقد نهاك الله أن تصلى عليه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما خيرنى الله فقال : استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان يستغفر لهم سبعين مرة ، وسأزيد على سبعين .

---

(١) آل عمران : ١٥٩
(٢) التوبة : ١٢٨
(٣) الأنبياء : ١٠٧
(٤) أخرجه البخارى فى كتاب الأذان : جـ ٢ ص ٢٠١ رقم (٧٠٧) .

قال : انه منافق . فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الله عز وجل : ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ، ولا تقم على قبره [1] .

ـ ولا يخطر ببال أحد من البشر أن تمتد رحمة انسان لتشمل أعداءه !! ولكن ذلك قد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟ فعندما أسلم (ثمامة بن أثال) سيد أهل اليمامة قال للرسول : « والله ما كان على الأرض وجه أبغض الى من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه الى ، والله ما كان من دين أبغض الى من دينك ، فأصبح دينك أحب الدين الى . والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد الى ، وان خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة ، فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمره أن يعتمر .

فلما قدم مكة قال له قائل : صبوت ؟ قال : لا والله ، ولكنى أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبى صلى الله عليه وسلم[2] .

وكانت قريش تعتمد على قمح اليمامة ، فلما عاد الى اليمامة ، نفذ ما أقسم عليه ، فمنع ارسال القمح الى قريش حتى يتبعوا محمدا عن آخرهم كما صرح لهم بذلك .

فلما أضر بهم كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه و
بك وأنت تأمر بصلة الرحم ، وتحض عليها ، وان ثمامة
ميرتنا وأضر بنا فان رأيت أن تكتب اليه أن يخلى
فافعل .

فكتب اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين ميرتهم .

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب فضائل الص
رقم (٢٤٠٠) .
(٢) أخرجه البخارى فى كتاب المغازى ج
(٣) الاستيعاب فى معرفة الاصحاب :

يا للخلق العظيم الذى يجب أن يقتدى به البشر !

أهذا حلم على حماقة قريش ؟

أهذا عفو القادر على الانتقام ؟

أهذا صبر على أذى الأعداء ؟

أهذه رحمة المشركين الذين ادوا النبى ومن معه ، وأخرجوهم من وطنهم مكة ؟

ان عمل النبى هنا يجمع هذه الفضائل كلها ، فهو لم يأمر ثمامه بأن يمنع القمح عن مشركى مكة . لكن اسلام ثمامة هو الذى دفعه الى أن يعاقب قريشا بما يستطيع ان يعاقبها به . جزاء لها على بغيها ومحاربتها للمسلمين . وتحرشها الدائم بهم .

وقد كان من حق ثمامة أن يفعل ذلك . لكن رحمة النبى صلى الله عليه وسلم اعلى من الخصومه وأرفع من العداوة ، وأعظم من مقابلة التجويع بمثله . فانه لم يكد يقرأ كتاب قريش حتى أرسل الى ثمامة أن يخلى بينها وبين حنطة اليمامة . وهو يعلم أن تجويع قريش يضعفها أشد الضعف ، ويقيه شرورها . ولعله أن يعجل بسعيها الى اعناق الاسلام .

فهل لبعض الدول المعاصرة التى تدعى العلم والتقدم والحضارة آذان تسمع .. هل لها عقول تعى .

هذه لقطات من خلق الرحمة لدى الرحمة المهداة صلوات ربى وسلامه عليه .

● **المسلمون وخلق الرحمة :**

وصف الله رسوله والذين معه بقوله : ﴿ **محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ (1) .

وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(1) الفتح : ٢٩

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم : مثل الجسد : اذا اشتكى منه عضـــو تداعى له ســـائر الجسد بالسهر والحمى »[1] .

فالرحمة من أخلاق المسلمين . الرحمة بمعناها الشامل .
ومن صـــور الرحمة :
الرحمـــة بذوى الأرحام .
الرحمـــة بالأطفال .
الرحمـــة بالحيوان .

وبعد فقد كانت هذه بعض صور الرحمة كما جاء بها ديننا الحنيف ولعل فيها درســـا لعالمنا المعاصر الذى قلت فيه الرحمة[2] .

وينبغى لكى يكون المسلم رجلا يجب أن يكون رحيم القلب لأن للرحمة أثرها فى القلوب ، وسحرها فى النفوس ، وهى أجل أثرا وأعظم خطرا من أسلوب القوة واستعمال العنف .

والرحمة علامة بارزة من علامات الرجولة فى الاسلام ولين القول والرفق فى المعاملة مظهر من مظاهر الرحمة . تؤلف بين القلوب وتشـــيع المحبة فى النفوس .

نسأل الله الرحمن الرحيم أن يجعلنا من عباده الرحماء وأن يحشرنا تحت لواء من أرسله رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة : جـ ٤/١٩٩٩

(٢) انظر : أخلاقنا ـ محمد ربيع محمد جوهرى . ص ١٢٨ وما بعدها (بتصرف) ـ القاهرة : دار الطباعة المحمدية ، ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) .

المبحث الرابع

الصـــداقة

ان الاسلام دين تجمع والفة .. ونزعة التعرف الى الناس والاختلاط بهم اصيلة فى تعاليمه « **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير** »(١).

فلم يقم الدين على الاستيحاش أو الاختلاف ولم يدع أبناءه الى العزلة العامة والفرار من تكاليف الحياة ..

فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم »(٢) .

واعتبر الاسلام اعتزال المسلم للأمة بما يفوت عليه واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر او يضعف من جانب الدفاع عن الاسلام والمسلمين أمام الخصوم جريمة . الا اذا اضطربت البلاد وتهارش أهلها على الدنيا وانتقضت عرى الفضائل .. فان مقاطعة الفساد واعتزال الفتن فى حدود مراتب التغيير ــ التى شرعها الله ــ للمنكر من تغيير باليد فللسان فالقلب تكون واجبة .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الناس أفضل يا رسول الله ؟ فقال : « مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله » قيل : ثم من ؟ قال : « رجل معتزل فى شعب من الشعاب يعبد ربه »(٣) .

---

(١) الحجرات : ١٣ (٢) رواه الترمذى .
(٣) رواه البخارى ومسلم .

وقد احتفى الاسلام بمشاعر الصداقة النقية ورغب فى أن تكون خالصة لوجه الله وجعل لها اذا كانت كذلك حسن المثوبة .

فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « قال الله عز وجل : المتحابون بجلالى فى ظل عرشى يوم لا ظل الا ظله »[1] .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من عباد الله ناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله » . قالوا : يا رسول الله خبرنا من هم ؟ قال : « هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها : فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس » وقرأ : **﴿ ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾**[2] .

والحب فى الله لا يصدق من كل داع يدعيه .. بل هو خاتمة مراحل سبقته فى مراقى الايمان . تبدأ بأن يعرف الانسان ربه معرفة صحيحة ؛ ثم ترتقى هذه المعرفة حتى ترجح فى نفسه ما عداها ثم ترتقى الى حب الله ذاته وايثار العمل له . وعندئذ يصدق على المرء اذا حب أو كره بأنه أحب لله وكره لله فيستحق بذلك الحب والكره أجل الجزاء من الله سبحانه وتعالى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من رجلين تحابا فى الله يظهر الغيب الا كان أحبهم الى الله أشدهما حبا لصاحبه »[3] .

ـ لهذا يعد عقد الصداقه من العقود الكبيرة القيمة ، الجليلة الأثر لذا أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحس البداية فأمرنا بتخير الجليس فقال : « مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك ان لم يصبك منه شىء أصابك من ريحه ، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير ان لم يصبك من سواده أصابك من دخانه »[4] .

---

(١) أخرجه أحمد .
(٢) يونس : ٦٢
(٣) رواه الطبرانى .
(٤) رواه أبو داود .

وقال تعالى : « **ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتى لم أتخذ فلانا خليلا** »(١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم الى من يخالل »(٢) .

ومما لا شك فيه أن لتجانس المزاج وتوافق التفكير مدخلا كبيرا فى تأسيس الصداقات وتوثيق الاواصر . وقد قيل : « رب أخ لك لم تلده أمك » .

ويصدق هذا الحديث الشريف : « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف »(٣) .

ـ لكن هذه العاطفة يجب أن يحكمها سلطان العقيدة . هذا السلطان الذى يستوحيه المؤمن من اتجاهات قلبه كلها فيجعله يحب فى الله من اهل الخير من لم يطالع لهم وجها لبعد الشقة أو لسبق الزمن . ويكره كذلك من أهل الشر من لم يخالطهم فى حضر أو سفر . لا لشىء الا لأنه يود الاخيار ويكره الاشرار . واتجاهات القلب على هذا النحو الخالص ترفع صاحبها درجات تفوق منزلته التى يستحقها بعمله فعن أبى ذر قال : قلت يا رسول الله : الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل عملهم قال : « أنت يا أبا ذر مع من أحببت »(٤) .

وقد أرشدنا الاسلام الى أمور من شأنها أن تقوى الصداقة الحقة وتدعمها .

منها التزاور فى الله : فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان رجلا زار أخا له فى قرية فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لى فى هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال :

---

(١) الفرقان : ٢٧ . ٢٨
(٢) رواه ابو داود .
(٣) رواه البخارى .
(٤) رواه الترمذى .

لا ، غير أنى أحببته فى الله تعالى . قال : فانى رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه »[1] .

* كما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تبادل الهدايا بين الأصدقاء ، لأنها تقوى أواصر المودة وتذهب الضغينة من النفوس . فقال صلى الله عليه وسلم : « تهادوا فان الهدية تذهب وحر الصدر »[2].

كما حارب الاسلام التصنع وكل مسلك ينطوى على الاحراج والمداهنة .. وسمح بأن تحاط الصداقة بألوان من المجاملة التى يحسن مظهرها بعد أن يطمئن الى جوهرها لتكون وسيلة لتيسير الحياة وتخفيف متاعبها .

فعنه صلى الله عليه وسلم قال : « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره »[3] .

* ومن سنن الاسلام فى الصداقة التواصى بالحق والتعاون على الخير .. وقد جعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك سياجا يحفظ ما بينهم من مودة ويقربهم من غفران الله ورضوانه .

فعن أبى قلابة رضى الله عنه قال : « التقى رجلان فى السوق فقال أحدهما للآخر : تعال نستغفر الله فى غفلة من الناس ففعلا فمات أحدهما فلقيه الآخر فى النوم فقال : علمت أن الله غفر لنا عشية التقينا فى السوق »[4] .

هكذا عنى الاسلام بالصلات التى تربط الانسان بأشخاص يؤثرون فيه ويتأثرون به[5] .

---

(١) رواه البخارى . (٢) رواه الترمذى .
(٣) رواه الحاكم . (٤) رواه ابن ابى الدنيا .
(٥) انظر : مجلة التوعية الاسلامية : السنة الخامسة عشرة العدد (٧) بتاريخ ١٤٠٩/١٢/٢ هـ نظرة الاسلام الى الصداقة / عبد الفتاح محمد أحمد جـ ٢ : ص (٤٨) .

ومن الجدير بالذكر ان الصداقة من الصفات الحميدة التى يتحلى بها المسلم لكى يكون رجلا بمعنى الكلمة لأن المسلم الحكيم العفيف الشجاع السخى ذو الهمة العالية محبوب من الله ومن الرسول وكذلك محبوب من الناس ..

فمن الرجولة أن تعقد بعض الصداقات مع اخوانك المسلمين اذا لقيتهم ألقيت عليهم السلام .. وان غابوا عن الصلاة فى المسجد سألت عنهم .. واذا مرضوا زرتهم .. وإن ماتوا عودتهم .

فاحرص أخى المسلم أن تكون رجلا فى كل صداقاتك متحليا بكل الفضائل مبتعدا عن الرذائل حتى تكون عنصرا هاما فى المجتمع . محبوبا من كل الاخوان والأصدقاء .. ان الصديق الوفى يستمر فى عطائه الروحى والوجدانى والمادى لصديقه أو لأبنائه من بعده ؛ ويمتد وفاؤه أو يقصر حسب قواه الروحية . ولدينا سبب يفسر لنا ندرة الأصدقاء الأوفياء وقلة الوفاء وقصر أجله ؛ لأن الوفاء للصديق عطاء من طرف واحد ؛ هو صداقة بدون صديق .

والوفاء للصديق بهذا الوصف فضيلة عليا بمعنى الكلمة . فهو عطاء روحى ووجدانى ومادى لا ينتظر ردا ولا يتوقع أجرا . ان الصديق يستمر فى سؤاله عن صديقه ، وفى اتصاله به ؛ والاهتمام بأمره ، ومعاونته وتقديره . والابتهاج له وبه ؛ وهذا العطاء وهذا الحب وهذا التقدير لا يفرضه العدل ولا يوجبه . ومن ثم كان فضيلة خلقية عليا[1] .

***

(١) انظر : الفضائل الخلقية فى الاسلام / احمد عبد الرحمن ابراهيم ص (٢٢٢) .

المبحث الخامس

صلة الرحم

الحمد لله الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وأوجب صلة الأنساب وأعظم فى ذلك أجرا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة أعدها ليوم القيامة ذخرا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أعظم الناس قدرا وأرفعهم ذكرا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين قاموا بالحق وكانوا به أحرى وعلى التابعين لهم باحسان وسلم تسليما .

أيها الناس اتقوا الله تعالى وصلوا ما أمر الله به أن يوصل من حقوقه وحقوق عباده صلوا أرحامكم والارحام والأنساب هى الأقارب وليسوا كما يفهم بعض الناس أقارب الزوج أو الزوجة فان أقارب الزوج أو الزوجة هم الأصهار فاقارب زوج المرأة أصهار لها وليسوا أنسابا لها ولا أرحاما وأقارب زوجة المرء أصهار له وليسوا أرحاما له ولا أنسابا انما الأرحام والأنساب هم أقارب الانسان نفسه كأمه وأبيه وابنه وابنته وكل من كان بينه صلة من قبل أبيه أو من قبل أمه أو من قبل ابنه أو من قبل ابنته .

صلوا أرحامكم بالزيارات والهدايا والنفقات صلوهم بالعطف والحنان ولين الجانب وبشاشة الوجه والاكرام والاحترام وكل ما يتعارف الناس من صلة .

ان صلة الرحم ذكرى حسنة وأجر كبير انها سبب لدخول الجنة وصله الله للعبد فى الدنيا والآخرة اقرأوا ان شئتم قول الله تعالى : **﴿ انما يتذكر أولوا الألباب . الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق . والذين يصلون ما امر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء**

الحساب . والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة ، أولئك لهم عقبى الدار . جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب. سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار »(١) .

صلة الرحم سبب لطول العمر وكثرة الرزق قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يبسط له فى رزقه وأن ينسأ له فى أثره ، فليصل رحمه »(٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحمة فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال الله نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك »(٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الرحم متعلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله »(٤) .

ولقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن صلة الرحم أعظم أجرا من العتق ففى الصحيحين عن ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت يا رسول انه أشعرت أنى أعتقت وليدتى قال أو فعلت قالت نعم قال أما انك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك »(٥) .

ان بعض الناس لا يصل أقاربه الا اذا وصلوه وهذا فى الحقيقة ليس بصلة فانه مكافأة اذ أن المروءة والفطرة السليمة تقتضى مكافأة من أحسن اليك قريبا كان أو بعيدا .

يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل اذا قطعت رحمه وصلها »(٦) .

---

(١) الرعد : ١٩ ــ ٢٤
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه مسلم .
(٤) متفق عليه .
(٥) رواه البخارى ومسلم .
(٦) متفق عليه .

فصلوا أرحامكم وإن قطعوكم وستكون العاقبة لكم عليهم فقد جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لى قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن اليهم ويسيئون الى وأحلم عليهم ويجهلون على فقال ان كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ـ أى الرماد الحار ـ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم أى معين عليهم ما دمت على ذلك »[1] .

واحذروا أيها المؤمنين من قطيعة الرحم فانها سبب للعنة الله وعقابه يقول الله عز وجل : ﴿ **فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم** ﴾[2].

ويقول تعالى : ﴿ **والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض ، أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾[3] .

وقد تكفل الله سبحانه للرحم بأن يقطع من قطعها حتى رضيت بذلك وأعلنته فهى متعلقة بالعرش تقول من قطعنى قطعه الله .

وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة قاطع يعنى قاطع رحم »[4] .

وأعظم القطيعة قطيعة الوالدين ثم من كان أقرب فأقرب من القرابة، ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاث مرات قلنا بلى يا رسول الله قال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين » سبحان الله ما أعظم عقوق الوالدين ما أشد اثمه انه يلى الاشراك بالله تعالى ان عقوق الوالدين قطع برهما والاحسان اليهما وأعظم من ذلك أن يتبع قطع البر بالاساءة والعدوان سواء بطريق مباشر أم غير مباشر .

فيا عباد الله يا من آمنوا بالله ورسوله انظروا فى حالكم انظروا فى أقاربكم هل قمتم بما يجب لهم عليكم من صلة هل ألنتم لهم

---

(١) رواه مسلم .
(٢) محمد : ٢٢ ، ٢٣
(٣) الرعد : ٢٥
(٤) متفق عليه .

الجانب هل أطلقتم الوجوه لهم وهل شرحتم الصدور عند لقائهم هل قمتم بما يجب لهم من محبة وتكريم واحترام هل زرتموهم في صحتهم تودداً أو هل عدتموهم في مرضهم احتفاء وسؤالا . هل بذلتم ما يجب بذله لهم من نفقة وسداد حاجة فلننظر .

ان من الناس من لا ينظر الى والديه اللذين أنجباه وربياه الا نظرة احتقار وسخريه وازدراء يكرم امرأته ويهين أمه ويقرب صديقه ويبعد أباه اذا جلس عند والديه فكأنه على جمر يستثقل الجلوس ويستطيل الزمن اللحظة عندهما كالساعة أو أكثر لا يخاطبهما الا ببطء وتثاقل ولا يفضي اليهما بسر ولا أمر مهم قد حرم نفسه لذة البر وعاقبته الحميدة . وان من الناس من لا ينظر الى أقاربه نظرة قريب لقريبه ولا يعاملهم معامله تليق بهم يخاصمهم في أقل الأمور ويعاديهم في أتفه الأشياء ولا يقوم بواجب الصلة لا في الكلام ولا في الفعال ولا في بذل المال تجده مثريا وأقاربه محتاجين فلا يقوم بصلتهم بل قد يكونون ممن تجب نفقتهم عليه لعجزهم عن التكسب وقدرته على الانفاق عليهم فلا ينفق وقد قال أهل العلم كل من يرث شخصا من أقاربه فانه تجب عليه نفقته اذا كان محتاجا عاجزا عن التكسب وكان الوارث قادرا على الانفاق لأن الله تعالى يقول : **وعلى الوارث مثل ذلك** (١) أي مثل ما على الوالد من الانفاق فمن بخل بما يجب عليه من هذا الانفاق فهو آثم محاسب عليه يوم القيامة سواء طلبه المستحق منه أم استحيا وسكت .

« عباد الله اتقوا الله وصلوا أرحامكم واحذروا من قطيعتهم واستحضروا دائما ما أعد الله تعالى للواصلين من الثواب وللقاطعين من العقاب واستغفروا الله انه هو الغفور الرحيم »(٢) .

---

(١) البقرة : ٢٣٣

(٢) انظر : الضياء اللامع من الخطب الجوامع / محمد بن صالح ابن عثيمين / القاهرة : دار الريان للتراث . ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م . ص (٥٠٥) بتصرف .

ولكى يكون المسلم رجلا بمعنى الكلمة يجب أن يصل رحمه ببذل المعروف والاحسان الى الوالدين أولا ثم الى الأقارب ثم الى الناس جميعا بالقول والفعل والمال • فالاحسان بالقول : اللين واللطف فى المخاطبة مستصحبا كل لفظ طيب يدل على اللين والتكريم ؛ أما الاحسان بالفعل فهو قضاء الحوائج وتيسير الأمور فى غير ما يضرك فى دينك أو دنياك •

أما الاحسان بالمال أن تبذل من مالك ما يحتاجان اليه ، طيبة به نفسك ؛ مشرحا به صدرك غير متبع بمنة ولا أذى •

هذه الصلة هى علامة بارزة من علامات الرجولة فى الاسلام وفقنا الله جميعا لبر أمهاتنا وآبائنا ورزقنا فى ذلك الاخلاص وحسن القصد والسداد انه جواد كريم •

* * *

المبحث السادس

الحـــرية

مفهوم الحرية : يسلم الفقـه بأن الحرية هى الأصـل العام لكل الحقوق ، ونذلك يجرى التعبير عن الحرية بمعنى الحق ، والعكس صحيح أيضا كمعنيين مترادفين لشيء واحـد[1] .

أى شـوط قطعه الاسلام بالانسان .. هذا الأسير العانى .. فى طريق الحرية .

لكى نذرع هذه المسافة ذرعا صحيحا يجب أن نحدد أولا النقطة التى بدأ الاسلام منها المسير . والنقطة التى انتهى اليها ؛ هنالك تستبان المسـافة .

لقد بدأه من أعمق أعماق العبودية .. بدأه من أسفل الدرك .. حين كان الانسـان عبدا لحجر يقتطعه من صخرة ، ويسويه وينصبه ، ثم يسجد له ويناجيه فى ذلة .. وينادية فى خشـوع : أى ربى .. والذى يقبل آن يكون عبدا للحجر ، يهون عليه أن يكون عبدا للشجر . أو عبدا لحيوان ، أو عبدا لأى مظاهر من مظاهر الطبيعة فى الأرض أو فى السـماء ، أو عبدا لانسان مثله يقول له : أنا ربك الأعلى .. وقد كان الانسان عبدا لكل أولئك ...

هذه هى نقطة البداية .. من هنا بدأ الاسـلام مسيرة فى طريق الحرية ، وقد شد اليه الانسان الجاثى على ركبتيه أمام معبوده الذى لا يسمع ولا يبصر ، وان سمع أو أبصر فهـو لا يملك لنفسـه ضرا ولا نفعا ، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ..» .

---

(١) انظر : حقـوق الانسـان / حسـن على ـ الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م ، ص ٧١

أما النقطة التى انتهى اليها فهى ليست النقطة التى تقف عندها الحرية اليوم فى العالم ، فاليوم لا حرية .. والا فأين هى ؟ ولكنها النقطة التى بلغها الانسان فى ظل الاسلام حين دعا الى الحرية بأوسع معانيها ، وحين أثمرت هذه الدعوة ثمراتها ، فوقف فوق أعلى قمة منها وركز عليها لواءه وهو يهتف ويقول أنا سيد نفسى .. لم أعد عبدا لأحد .. ولا عبدا لشيء ... لست عبد عبد ، كلنا سواء بعد عبوديتنا جميعا لله .

والمسافة بين النقطتين هى الشوط الذى قطعه الإسلام بالانسان فى طريق الحرية ، وانها لمسافة الطريق كلها قد كانت النقطة التى بلغها هى نهاية الطريق .

لقد دكت العبودية على يد الاسلام ، دكا دكا ، وجاءت مواكب الحرية وأضواؤها ونسائمها فى ظله صفا صفا .

أما رجعة الانسان الى الوراء من بعد ، وتنازله أو تفريطه فيما أحرز على يد الاسلام .. أما انتكاسته فلا شأن للاسلام به ، ولا يسأل عنه الا الانسان نفسه ..

أعلن الاسلام للانسان حقوقه فى الحرية بجميع أنواعها ، على صورة لم يسبقه اليها سابق . وباطلة كل دعوة تغاير هذا ، وزيفا فى اضمامات التاريخ كل حديث لا يستقى من نبع هذا المعنى الصادق ولا يقرر أن الاسلام قد قدس الحرية لذاتها وليرفع بها من شأن الانسان .. قدسها كوسيلة وكغاية .

وتقديس الاسلام للحرية هو الذى جعله فى طول ملكه وعرضه .. من الصين شرقا الى الأندلس غربا ؛ يتسع لكل جنس ولون ، وكل ملة ونحلة ، تعايشه وتجاوره وتصادقه آمنة مطمئنة . وهو الذى أقام حضارة فذة ؛ دونها حضارة القرن العشرين فى كثير من النواحى .

ومن نافلة القول أن نذكر أن الاسلام لم يعلن مجرد كلمات أو نصوص للحرية . لكنه أعلن معها وسائل حياتها ومقومات بقائها نافذة المفعول . وأقام عليها حراسه من عقوبات مقررة على كل معتد أثيم . وقام عليها سدنة من ايمان بها عميق ويقين مقيم .

كان سدنة الحرية فى الاسلام قوما نبلاء . آمنوا بها واستعذبوا كل عذاب فى سبيلها . وقاوموا كل عادة أو خليقة أو عقيدة استعبدت الناس وطاردوا كل أسلوب فى الحياة وضيع نزل منهم منزلة اليقين لأنهم وجدوا عليه آباءهم ..

● **الحرية الشخصية :**

خذ اليك مثلا الحريه الشخصيه . أو حق الحياة :

كانت الاناث من الاولاد يقتلن . وكان الضعفاء والعبيد ومن يرتكبون أمورا لا ترضى السادة .. كان هؤلاء عرضة لأن يقتلوا غرقا أو حرقا أو رميا من حالق . وكانت غارات تشن وأرواح تزهق ، وحرمات تستباح . وكان ذلك من لهو الحياة ولعبها .. وكل ملك لكأن هو ملك لمن أراد السلب أو أغرم بالنهب .

فجاء الاسلام يضع حدا لهذا ويقول : « **ولا تقتلوا أولادكم** »(١) .

« **ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق** »(٢) .

« **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما** »(٣) .

« **من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا** »(٤) .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « كل المسلم على المسلم حرام .. دمه .. وماله .. وعرضه .. » .

---

(١) الأنعام : ١٥١ (٢) الأنعام : ١٥١

(٣) النساء : ٩٣ (٤) المائدة : ٣٢

هذا هو حق الحياة أو حق البقاء للانسان فى الاسلام ، وهـذه هى حريته الشخصية التى لا تمس .

● **حرية العقيدة :**

ولم تك قبل الاسلام حرية فى العقيدة ، ولا فى ممارسة الشـعائر الدينيـة . فجـاء الاسـلام يعلن أن ﴿ **لا اكراه فى الدين** ﴾(١) ويبيح للعقائد المخالفة للاسلام والمقيم أصحابها فى أرض مسلمة أن ترعى كما تشـاء . مستمتعة بكامل حرياتها فى غير خشـية على روح أو مال أو عرض أو رأى .

استمع الى قول الله تعالى : ﴿ **ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾(٢) .

والى قـوله تعـالى : ﴿ **فذكر انما انت مذكر . لست عليهم بمسـيطر** ﴾(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ **ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾(٤) .

والى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل قتيلا من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة » .

● **حـرية البحث :**

ولم يكن هناك ما يكفل للانسان حرية البحث ، وكانت أمم تحرق بالنار كل من يتجرأ ويبحث ثم يبلغ درجة من درجات الادراك الجديد لم يألفها الناس ، وخاصـة كبراؤهم ، من قبل ، فجاء الاسلام وأباح هذه الحرية وكفلها وجعلها حقا لكل فرد ، أية كانت عقيدته وكان مذهبه .

● **حـرية الراى :**

فاذا انتقلنا الى حرية الرأى . أو حرية التعبير بالقول والكتـابة

---

(١) البقرة : ٢٥٦ (٢) يونس : ٩٩
(٣) الغاشية : ٢١ ـ ٢٢ (٤) البقرة : ٢٧٢

والنشر ، ألفينا أنفسنا أمام أعلى صرح شاده لها الاسلام • يقول الله تعالى :

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون ﴾(١) •

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾(٢) •

وفى قوله تعالى : **﴿ وشاورهم فى الأمر ﴾(٣)** دعوة الى حرية الرأى ومناهضة للاستبداد والتحكم •

وفيما مضى من آى الذكر الحكيم وفى الحديثين التاليين الكفاء :

« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » •

« لا يحقرن أحدكم ان يرى أمرا لله فيه مقال فلا يقول فيه ، فيقال له يوم القيامة : ما منعك أن تكون قلت كذا وكذا ؟ فيقول : مخافة الناس •• فيقول الله : اياى أحق أن تخاف » •

وفى مجال الممارسة والتطبيق لهذه الحرية تجد الروائع ، من نوع موقف رجل وامرأة مع عمر ، فأما أولهما فيعقب على قول أمير المؤمنين « من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه » بقوله : « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » •

وأما المرأة فتعارض أمير المؤمنين فى رأى له علنا فيقول قولته الشهيرة : « أخطأ عمر وأصابت المرأة » •

كل أولئك يدل على دعوة الاسلام الى حرية الرأى وكفالته لها ، وحق كل فرد فيها ، كما يدل على تغلغل هذه المعانى فى نفوس المسلمين ، وتمكنها منهم حاكمين ومحكومين •

* * *

---

(١) آل عمران : ١٠٤ (٢) التوبة : ٧١

(٣) آل عمران : ١٥٩

● حـرية التفكير :

وحرية الرأى الذى تحدثنا عنها فيما مضى تسبقها حرية التفكير ، وهى مرتبطة بها ارتباطا وثيقا ؛ وقد أعلن الاسـلام أن لكل فرد حقـه فى أن يفكر فيما يشـاء حرا طليقا دون قيـد من رأى لغيره ، وجرى الاسلام فى هـذا الى أبعـد حـد حين أخـذ يحث على التفكير فى السموات والأرض وما فيهما ؛ وفى النفس البشرية ، وفى الخلق وكيف بدأه ؟ وغير ذلك ؛ ويندد باهمال العقل وتجريده من واجبه فى التفكير والتأمل ، ويهيب بالناس أن يركنوا الى العقل فى التحاكم والمحاجـة والجدل ، غير خاشـين بأسـا فى هذا ولا عنتا .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحثا على التفكير ومغريا به : « إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تكلم »[1].

ومما لا شـك فيه أن للتوحيد الذى جاء به الاسلام أثره فى تحرير الفكر من كل قيـد يقيده .

هذه هى الحرية التى منحها الاسلام لكل فرد ، والتى اتخـذها دعامة لمـا سن الناس من نظم .. هى الحرية بشتى أنواعها .

ولكى يكون الانسان المسلم رجلا يجب أن تكون الحرية مبدأ من مبادئه لأن الحرية تحفظ كرامة الفرد وتجعله لا يفرط فى أى حـق من حقوقه التى كفلها الاسـلام للانسان .

فالحرية تجعل الانسان يتمسك بالفضائل ويبتعد عن الرذائل .. وكلما تمسك الانسان وتحلى بجملة من الفضائل اقترب من الكمـال فى كل شىء . والحرية علامة بارزة من علامات الرجولة فى الاسلام ..

---

(١) انظر : حقوق الانسـان بين الشرق والغرب / محمد شـاهين حمزة ـ القاهرة : مطبعة حليم ، ١٩٥٧ ، (ص ١٩٦ بتصرف) .